جوهرة الجمهرة

للصاحِب اسماعيل بن عَبّاد

٣٢٦ ــ ٣٨٥ هـ

بقلم

الشيخ محمد حسن آل ياسين

عضو المجمع العلمي

جمع وترتيب :

المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي

فرزة من مجلة المجمع العلمي العراقي



الجزء الاول ــ المجلد الثالث والاربعون

بغداد

١٤١٦هـ = ١٩٩٦م

جوهـرة الجمهـرة

للصاحب اسماعيل بن عبّاد

٣٢٦ ـ ٣٨٥ هـ

بقلـم

الشيـخ محمد حسن آل ياسين

عضـو المجمـع العلمـي

«جمهرة اللغة» لابن دريد ـ كما يعلم المعنيون ـ معجم لغوي قيم نفيس، يكاد يجمع علماء اللغة على علوّ شأنه ورفيع مقامه بين المعجمات، وقد أمـلاه مؤلفه في السنين الأخيرة من القرن الثالث الهجري وهو بعيد عن حواضر العلم العراقية، فكان المعجم الثاني ـ بحقٍ ـ في سلسلة معجمات الألفاظ في تاريخ العرب والعربية بعد (عين) الخليل، إذ لم تكـن المؤلفـات اللغوية خلال المدة الفاصلة بين العين والجمهرة شاملةً في أبوابها، ومستوعبة في مفرداتها، كهذين المعجمين، بل كان منها المعنيّ بموضـوع معين من موضوعات اللغة كالشاء أو البئر أو الخيل أوغير ذلك، أو المعنيّ بسرد مفردات لغوية منتقاة بلا ذكر فعل او اشتقاقٍ ككتـب النوادر وكتـاب الجيم لابـي عمرو الشيبانـي، أو المعنيّ بالمفردات بلا ملاحظة جذرٍ أو أصل ككتاب التقفية للبندنيجي .

أما المعجـم بمعناه الاصطلاحي أو الفني فلـم تعرفه العربيـة بعد العين الا في كتاب الجمهرة المذكور، الذي حاول مؤلفه فيه بعض التغيير أو التيسير في خطة العين ومنهجه، بعيـداً عن الالتزام بترتيب الحـروف صوتيـاً كمـا فعل الخليل، فكان هذا الكتاب أسهل تناولا وأيسر في المراجعة وأقرب الى المراد في سرد المواد وتنظيمها وتبويبهـا، وان لم يخـل ذلك مـن بعض الصعوبات والتعقيدات بل المؤاخذات أيضاً .

ومهما يكن من أمر ؛ فان بامكاننا أن نعدّ منهج ابن دريد في هذا المعجم نمطاً متطوراً — أو — توفيقياً بين منهج الخليل القائم على نظام أصوات الحروف، وتقليبات الكلمات — وهو نظام معقّد جداً — وبين منهج بعض من أشرنا اليهم كأبي عمرو ؛ ممن رتبوا المفردات ألفبائياً ولكن لم يراعوا التسلسل في الحروف التي تلي الحرف الأول من تلك المفردات ولم يذكروا الجذر وشيئاً من مشتقاته وتفريعاته ؛ مما جعله أقرب الى العشوائية أو الانتقائية وألصق بكتب النوادر المعروفة .

ويقول ابن دريد في بيان أسباب اختياره لمنهجه وخروجه على منهج الخليل: « وقد ألف أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفرهودي — رضوان الله عليه — كتاب العين ، فأتعب مَنْ تصدّى لغايته ، وعَنّى مَنْ سما الى نهايته ، فالمنصف له بالغلب معترف ، والمعاند متكلف ، وكلّ مَنْ بعده له تَبَع ؛ أقرّ بذلك أم جحد » .

« ولكنه — رحمه الله — ألّف كتابه مُشاكِلاً لثقوب فهمه وذكاء فطنته وحدّة أذهان أهل دهره . وأملينا هذا الكتابَ والنقصُ في الناس فاشٍ والعجز لهم شامل ؛ الا خصائص كدراريّ النجوم في أطراف الافق ، فسهّلنا وعره ووطّأنا شأزه ، وأجريناه على تأليف الحروف المعجمة : إذ كانت بالقلوب أعبق (أعلق) ؛ وفي الأسماع أنفذ ، وكان علمُ العامة بها كعلم الخاصة ؛ وطالبها من هذه الجهة بعيداً من الحيرة ؛ مشفياً على المراد» .[1]

ثم يقول معللاً اختياره كلمة (الجمهرة) اسماً للكتاب :

« وانما أعرناه هذا الاسم ؛ لأنّا اخترنا له الجمهور من كلام العرب ؛ وأرجأنا الوحشي المستنكر »[2].

ومع أن ابن دريد قد أعلن — كما تقدم — إجراء كتابه على تأليف الحروف المعجمة ، فانه قسّمه على الأبنية أيضاً ، وافترضها — كما يستفاد من مقدمات الكتاب — ستة :

---

(١) جمهرة اللغة : ٣/١ . (٢) المصدر نفسه : ٤/١ .

الثنائي المضعّف ، والثلاثي ، والرباعي ، والخماسي ، والملحق بالسداسي بحرفٍ من الزوائد ، واللفيف •

ثم قسّم كل بناء منها على أبواب وفصول •

وكلمة الحق التي يجب أن تقال في شأن هذا المعجم الكبير الخطير أن مؤلفه ــ وهو ابن عصر السماع والرواية والتلقّي ــ لم يكن فيه مجرد راوٍ لما يتلقّى ويسمع ؛ أو محض ناقلٍ لما يقال ويؤثر ، بل كان له في كثير من فقرات الكتاب ومطالبه وقفات رأيٍ وشكٍّ وتردد وتعليق ، وهو برهان جلي على التحقيق والتثبت والتدقيق ، وقد تكرر منه مآت المرات ترداد مثل « زعموا » و « ليس بثبت » و « ما أدري ماصحته » و « لا أحسبه صحيحاً » و « أنا أوْجَل من هذا الحرف » وما شاكل ذلك من العبارات والتعليقات ، مما لا مجال للخوض في تفاصيله في هذه المقدمة •

* * *

ونالت «الجمهرة» منذ عهد تأليفها وبدء انتشارها وعلى مدى العصور التالية لذلك ؛ اهتماماً واسعاً ومنزلة رفيعة لدى علماء العربية عامة والمعجميين منهم خاصة ، روايةً وتداولا ؛ وتعليقاً واستدراكاً ؛ وشرحاً وتبييناً ؛ بل اختصاراً وتلخيصاً أيضا لاستخراج زبدة مافيها مما تعم الحاجة اليه •

وذكر المؤرخون من هذه الكتب المعنيّة بالجمهرة :

١ ــ «فائت الجمهرة» لأبي عمر الزاهد غلام ثعلب ، المتوفى سنة ٣٤٥ هـ •

٢ ــ «جوهرة الجمهرة» :للصاحب أبي القاسم اسماعيل بن عباد ، المتوفى سنة ٣٨٥ هـ •

٣ ــ «الموعب» : لأبي غالب تمام بن غالب ، المعروف بابن التياني ، الأندلسي ، المتوفى سنة ٤٣٦هـ ، جمع فيه بين العين والجمهرة • وقيل : ان اسمه «تلقيح العين» أو «فتح العين» •

٤ ـ «نثر (نشر) شواهد الجمهرة» : لأبي العلاء المعري ، المتوفى سنة ٤٤٩هـ ـ ثلاثة أجزاء ـ .

٥ ـ «نظم الجمهرة» : ليحيى بن معط بن عبد النور ، زين الدين المغربي المتوفى سنة ٦٢٨ هـ .

٦ ـ «مختصر الجمهرة» : لشرف الدين محمد بن نصر الله بن عنين الأنصاري ، الشاعر ، المتوفى سنة ٦٣٠ هـ [٣].

وحدث السيوطي : أن كتاب الجمهرة قد حظي بثناء «كثير من العلماء ، وتوجد منه النسخ الصحيحة المروية عن أكابر العلماء . وقال بعضهم : انه من احسن الكتب المؤلفة على الحروف وأصحها لغة» .

ثم روى طعون الأزهري وابن جني فيها وقال معلقاً على ذلك :

« قلتُ : معاذ الله ، هو بريء مما رُمِيَ به ، ومَنْ طالع الجمهرة رأى تحريه في روايته .... وقد تقرر في علم الحديث ان كلام الأقران في بعضهم لايقدح» [٤] .

* * *

أما مؤلف « الجمهرة » فهو العالم اللغوي الشهير ، أبو بكر ، محمد ابن الحسن بن دريد بن عَتاهية بن حَنْتَم بن الحسن بن حَمَامي بن جرو ابن واسع بن وهب بن سلمة بن جشم بن حاضر بن أسد بن عدي بن عمرو ابن مالك بن فَهْم بن غانم بن دوس بن عدنان (عُدثان) بن عبدالله بن زهيران (زهران) بن كعب بن الحارث بن مالك بن نصر بن الأزد بن الغوث بن نبت ابن مالك بن زيد بن كهلان بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان[٥] .

ولد في البصرة ، في سكة صالح ، سنة ثلاث وعشرين ومائتين ، من سلالة

---

(٣) يراجع في الجمهرة والكتب المتعلقة بها : الفهرست : ٨٣ والمزهر : ٨٨/١ و٨٩ و٩٢ وكشف الظنون : ٦٠٥/١ و٦٠٦ والذريعة : ١٤٦/٥ ـ ١٤٧

(٤) المزهر : ٨٩/١ و ٩٣ ـ ٩٤ .

(٥) اختلفت المصادر في سلسلة ابن دريد اختلافاً كبيراً ، وما اثبتنا هو المروي في بعضها .

عربية عريقة ، ومن أبٍ معدود من الرؤساء وذوي اليسار . ونشأ هناك وتأدب وتعلّم ، وقرأ على علمائها وفحول رجالها أمثال ابراهيم بن سفيان الزيادي المتوفى سنة ٢٤٩ هـ ؛ وأبي حاتم السجستاني المتوفى سنة ٢٥٠ هـ ؛ وعبدالرحمن بن عبدالله المعروف بابن أخ الأصمعي ؛ وأبي الفضل العباس ابن الفرج الرياشي المتوفى سنة ٢٥٧هـ ؛ وأبي هفّان عبدالله بن أحمد المهزمي العبدي المتوفى سنة ٢٥٧ هـ ؛ وأبي عثمان سعيد بن هارون الاشنانداني المتوفى سنة ٢٨٨هـ ؛ وغير هؤلاء أيضا ؛ ومنهم عمه الحسين بن دريد الذي تولّى تربيته وتعليمه ؛ وقد روى ابن اخيه فيما روى عنه كتاب «مسالمات الأشراف »•

ثم انتقل عن البصرة مع عمه الحسين لما ظهر الزنج فيها سنة ٢٥٧ هـ وقتلوا استاذه الرياشي ؛ فأقام بعُمان اثنتي عشرة سنة ، وتنقّل بعد ذلك في جزائر البحر ، ثم عاد الى البصرة « وسكن بها زماناً » •

ثم خرج الى نواحي فارس قاصداً واليها الأديب عبدالله بن محمد بن ميكال بدعوة منه ليؤدّب ولده اسماعيل ، فأقام هناك مدة ، وتوطدت العلاقة بينه وبين الوالي المذكور وابنه ، ومدحهما بمقصورته المشهورة ، وأملى في سنة ٢٩٧هـ كتابه « الجمهرة » على الأمير أبي العباس اسماعيل بن عبدالله الميكالي • وقلّده الأمير ديوانَ الرسائل فكانت تصدر كتب ذلك الاقليم عنه ، ولا ينفذ أمرٌ الاّ بعد توقيعه • وحصل هناك على اموال جمّة ؛ ولكنه « كان مبدداً لا يمسك درهماً سخاء وكرماً » •

ولمّا عُزِل الأمير الميكالي عن ولايته في سنة ٣٠٨ هـ انتقل ابن دريد الى بغداد ، ونزل على عليٍّ بن محمد الخواري — أو الحوري — فأفضل عليه ، وعرّف به الخليفة العباسي المقتدر بالله فأجرى عليه في الشهر خمسين ديناراً الى أن مات •

وفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان سنة ٣٢١ هـ انتقل ابن دريد الى جوار ربه ، ودفن « بالعباسية من الجانب الشرقي ، في ظهر سوق السلاح من الشارع الأعظم » ورُويَ : انه « لما توفي حُمِلت جنازته

الى مقبرة الخيزران ليدفن بها ..... ، واذا بجنازة اخرى مع نفرٍ قد اقبلوا بها .... فنظروا اذا هي جنازة أبي هاشم الجبائي . فقال الناس : مات علم اللغة والكلام بموت ابن دريد والجبائي ، فدفنا جميعاً في الخيزرانية » .

وحسبنا في معرفة عبقرية هذا الرجل وعلو كعبه في اللغة والأدب وعلوم العربية أن نقرأ الشهادات الآتية :

قال المسعودي : « كان ممن قد برع في زمننا هذا في الشعر ، وانتهى في اللغة ، وقام مقام الخليل بن أحمد فيها ، وأورد أشياء في اللغة لم توجد في كتب المتقدمين ، وكان يذهب في الشعر كل مذهب ، فطوراً يجزل وطوراً يرق » .

وقال المرزباني : « كان رأس أهل العلم ، والمتقدم في الحفظ للغة والأنساب وأشعار العرب ، وهو غزير الشعر كثير الرواية سمح الأخلاق ، وكانت له نجدة في شبابه وشجاعة ، وسخاء وسماحة » .

وقال الزبيدي صاحب الطبقات « كان أعلم الناس في زمانه باللغة والشعر وأيام العرب وأنسابها » .

وقال أبو الطيب اللغوي : « انتهى اليه علم لغة البصريين ، وكان أحفظ الناس وأوسعهم علماً وأقدرهم على شعرٍ ، وما ازدحم العلم والشعر في صدرٍ واحدٍ ازدحامهما في صدر خلف الأحمر وأبي بكر بن دريد » .

وقال أبو البركات ابن الأنباري : « كان من أكابر علماء العربية ، شاعراً كثير الشعر » .

وقال ياقوت : « روى من اخبار العرب وأشعارها ما لم يروه كثير من أهل العلم » ، وكان « واسع الحفظ جداً ... وكانت تقرأ عليه دواوين العرب كلها أو أكثرها فيسابق الى اتمامها ويحفظها » ، « وتصدر في العلم ستين سنة » ، و « كان يقال : ابن دريد أشعر العلماء وأعلم الشعراء » .

وقال الذهبي : « فاق أهل زمانه » ، و « كان آية من الآيات في قوة الحفظ » .

ومما يزيدنا ايماناً وتصديقاً بعبقرية هذا الرجل وتقدمه وخطر شأنه في ميدانه أن نقف على الكنز العظيم الذي خلّفه من بعده ؛ وهو الكنز الذي يسمو على التقدير والتثمين ، ونعني به مؤلفاته القيمة التي ضمّت عصارةَ إبداع فكره وعطاء موهبته ؛ وخلاصة ما أنتجه الدرس الأدبي واللغوي في العصور الاسلامية الاولى ، فكانت وما تزال المنبع الثرّ والمصدر الأصيل للبحوث اللغوية والدراسات الأدبية منذ جيل طلابه والى اليوم •

ونورد فيما يأتي اسماء تلك المؤلفات مرتبة على الحروف الهجائية :

١ ــ كتاب أخبار أبي بكر بن دريد : مطبوع •

٢ ــ كتاب الأخبار المنثورة : ولعله الكتاب السابق نفسه •

٣ ــ كتاب أدب الكتّاب : « على مثال كتاب ابن قتيبة ، ولم يجرّده عن المسوّدة ، فلم يخرج منه شيء يعوّل عليه » ، وقد يسمى : « أدب الكاتب » ، وربما كان هو المراد مما سمّاه بعضهم « تقويم اللسان » •

٤ ــ كتاب الأربعين •

٥ ــ كتاب الاشتقاق : وسمّاه بعضهم : « اشتقاق أسماء القبائل » ، وهو مطبوع أكثر من مرة .

٦ ــ كتاب الأمالي : روى عنه السيوطي كثيراً في المزهر : (١/١٢٥ــ١٢٩ و١٤٠ و١٦١ و١٦٣ ــ ١٦٤ و٤٩٤ و٤٩٦ ــ ٤٩٧ و٥٠١ ــ ٥٠٢ ، و ٢ / ٣١٣ و ٣٤٦ ــ ٣٤٧و٥٢٠ ــ ٥٢٢و٥٤٢) ، وذكر حاجي خليفة في الكشف : ان السيوطي قد لخّصه وسمّى الملخّص : « قطف الوُرَيْد » •

٧ ــ كتاب الأنواء •

٨ ــ كتاب ايجاز المنطق وذخائر الحكمة : ذكره مؤلفه في كتابه المجتنى : ١٣ •

٩ ــ كتاب « البنون والبنات » : ذكره العلوي المعاصر جامع ديوان ابن دريد في مقدمة الديوان .

١٠ ــ كتاب جمهرة اللغة : وهو المعجم اللغوي الضخم المعروف ، قال ابن النديم : « مختلف النسخ ، كثير الزيادة والنقصان ، لأنه أملاه بفارس ، وأملاه ببغداد من حفظه ، فلما اختلف الإملاء زاد ونقص ... والتامة التي عليها المعوَّل هي النسخة الأخيرة ؛ وآخر ما صحَّ من النسخ نسخة أبي الفتح عبيدالله بن أحمد النحوي ؛ لأنه كتبها من عدة نسخ وقرأها عليه » . وقد طبعت الجمهرة في حيدر آباد الهند في سنة ١٣٤٤هـ .

١١ ــ كتاب الخيل « الصغير » .

١٢ ــ كتاب الخيل « الكبير » .

١٣ ــ ديوان شعر ابن دريد : جمعه السيد محمد بدر الدين العلوي المعاصر ، وطبع في القاهرة في سنة ١٣٦٥هـ ، وهو غيض من فيض من شعره ، فقد روى القفطي في الإنباه أن « شعره كثير ؛ قال لي مَنْ رآه : في خمس مجلدات ، وقيل : أكبر من ذلك » .

١٤ ــ كتاب روّاد العرب : وورد اسمه في بعض المصادر : « زوّار العرب » وفي بعضٍ : « رواة العرب » ولعل ذلك من التصحيف ، والكتاب مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٥ ــ كتاب السرج واللجام : وقد يسمى «صفة السرج واللجام» ، وهو مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٦ ــ كتاب السلاح .

١٧ ــ شعر الحادرة : ذكره ابن النديم في باب الشعراء الذين عمل شعرهم العلماء من فهرسته ، ولم يذكره في ترجمة ابن دريد .

١٨ ــ كتاب صفة السحاب والغيث : وسماه بعضهم : كتاب المطر ، وهو مطبوع في ليدن في سنة ١٨٥٩م .

١٩ ــ كتاب غريب القرآن : « لم يتمه » ، و ربما كان هو المسمى كتاب « لغات القرآن » .

٢٠ ــ كتاب فعلت وأفعلت .

٢١ ــ كتاب لغات القرآن : ذكره ابن النديم وقال : « لم يتمه » ، وكأنه « غريب القرآن » المتقدم .

٢٢ ــ كتاب ماسئل عنه لفظاً فأجاب حفظاً : « جمعه علي بن اسماعيل بن حرب عنه » .

٢٣ ــ كتاب المتناهي في اللغة .

٢٤ ــ كتاب المجتنى : وصُحِّف في بعض المصادر الى «المجتبى»، وهو مطبوع في الهند أكثر من مرة .

٢٥ ــ كتاب مجموعة أقوال لعلي بن أبي طالب (ع) .

٢٦ ــ كتاب المختلف والمؤتلف في الاشتقاق ، هكذا سماه عبداللطيف رياضي زادة في كتابه (أسماء الكتب : ٢٨٦) ، وأظنه «الاشتقاق» المتقدم نفسه .

٢٧ ــ كتاب المقتبس .

٢٨ ــ كتاب مقتل ابن هبيرة : ذكره البغدادي في ذيل الكشف ، ولعل فيه وهماً أو لبساً .

٢٩ ــ كتاب المقتنى .

٣٠ ــ كتاب المقصور والممدود : هكذا سمي الكتاب في المصادر ، وكأن المراد به قصيدة ابن دريد الهمزية التي جمع فيها المقصور والممدود ، وقد أوردها جامع شعره في الديوان ، وذكر بروكلمان شروحاً لها وقصائد في محاكاتها ومعارضتها .

٣١ ـ المقصورة : في مدح ابني ميكال ، ومع أنها ليست في الحقيقة مؤلفاً أو مصنفاً ، فان كثرة العناية والاهتمام بها جعلها في عداد المؤلفات . وتبلغ أبيات المقصورة ـ كما نص عليه في خزانة الأدب ـ (٢٣٩) بيتاً . وقد عارضها جماعة من الشعراء ، وعني بشرحها عدد من المتقدمين والمتأخرين لعلهم يبلغون (٣٥) شارحاً أو يزيدون ، وبعض تلك الشروح مطبوع ، وخمسها عدد آخر من الشعراء ، وبعض تلك التخميسات مطبوع أيضاً .

٣٢ ـ كتاب الملاحن : وهو مطبوع أكثر من مرة .

٣٣ ـ كتاب نوادر ابن دريد : ذكره بهذا الاسم صاحب كشف الظنون ، وأظنه يعني به كتاب « أخبار ابن دريد » أو « أماليه » .

٣٤ ـ كتاب الوشاح : نقل السيوطي نصوصاً منه في المزهر : (١/٥٣٢ـ ٥٣٣ ، و ٢/٤٣٤ و ٤٥٦ ـ ٤٥٧)[٦] .

* * *

(٦) رجعنا في ترجمة ابن دريد ـ سيرته ومؤلفاته ـ الى :
مروج الذهب : ٤/٢٤٦ ـ ٢٤٨ ومعجم الشعراء : ٤٦١ ـ ٤٦٢ وطبقات النحويين : ٢٠١ ومراتب النحويين : ١٣٠ ـ ١٣٦ والفهرست : ٣٨ و ٦٧ و ١٧٩ وتاريخ بغداد : ٢/١٩٥ ـ ١٩٧ ونور القبس : ٣٤٢ ـ ٣٤٤ ونزهة الألباء : ١٧٠ ـ ١٧٨ والأنساب : ٥/٣٤٢ ـ ٣٤٤ والمنتظم : ٦/٢٦١ ـ ٢٦٢ ومعجم الادباء : ١٨/١٢٧ ـ ١٤٣ وانباه الرواة : ٣/٩٢ ـ ١٠٠ ووفيات الأعيان : ٣/٤٤٨ ـ ٤٥٣ وسير اعلام النبلاء : ١٥/٩٦ ـ ٩٨ والوافي بالوفيات ٢/٣٣٩ ـ ٣٤٣ وبغية الوعاة : ٣٠ ـ ٣٣ والمزهر : ١/٨٨ ـ ٩٤ و٢/٤٠٩ وشذرات الذهب : ٢/٢٨٩ ـ ٢٩١ وخزانة الأدب : ١/٤٩٠ ـ ٤٩١ وكشف الظنون (اسماء المؤلفات) واسماء الكتب : ٢٨٦ وذيل كشف الظنون المسمى ايضاح المكنون (اسماء المؤلفات التي لم ترد في الكشف) ومعجم المطبوعات العربية والمعربة : ١/١٠١ ـ ١٠٣ والذريعة : ٤/١٢و١٣و١٤/٨٦و١٧/١٢٣ (واسماء المؤلفات) وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ : ٢/١٧٧ ـ ١٨٥ .
ويراجع في اسماء شيوخ ابن دريد وطلابه والرواة عنه : ماأورده محققا الجمهرة والاشتقاق في مقدمتيهما للكتابين المذكورين .

وأما مؤلف « الجوهرة » فهو الأديب اللغوي الوزير ؛ أبو القاسم ؛ الصاحب كافي الكفاة ؛ اسماعيل بن عبّاد بن العباس بن أحمد بن ادريس ، الطالقاني ، الاصبهاني ، المولود في ١٦ ذي القعدة سنة ٣٢٦هـ ، والمتوفى في ٢٤صفر سنة ٣٨٥هـ •

نشأ دارساً متعلماً ، واتصل في أوائل شبابه بأبي الفضل محمد بن العميد وزير ركن الدولة بن بويه صلة التلميذ بالاستاذ ، ثم ازدادت هذه الصلة متانة وقوة فأصبح ابن عباد كاتباً لابن العميد •

ولمّا عزم الأمير مؤيد الدولة أبو منصور على زيارة بغداد في سنة ٣٤٧هـ اختار ابنَ عباد صاحباً له ومرافقاً في هذه الرحلة ، فكانت هذه الصحبة مفتاحاً لعلاقةٍ استحكمت وشائجها وتوطدت أُسسها على مرّ الأيام •

وأصبح ابن عباد بعد تولّي الأمير المذكور أبي منصور شؤونَ الدولة اثر وفاة أبيه وزيراً له ومعتمداً ، ثم استمر في الوزارة أيضاً بعد وفاة مؤيد الدولة وتولّي فخر الدولة زمام الحكم والإمرة ، وبقي كذلك حتى وفاته •

ونال هذا الرجل من المقام والاحترام والهيبة والرفعة وبُعد الصيت وشهرة الاسم خلال أيام وزارته مالم ينل مثله أحدٌ من نظرائه ، واحتفّ به ــ كما يقول الثعالبي ــ « من نجوم الأرض وأفراد العصر وأبناء الفضل وفرسان الشعر ؛ مَنْ يربي عدُدهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب القوافي وملكِ رقاب المعاني » •

وكان ابن عباد قد قرأ وتعلّم على يد عددٍ جمّ من علماء عصره وادبائه ، وروى عنهم ، و « سمع في العراق والريّ واصبهان الكثير » ، وملك مكتبةً حافلة بأنفس الكتب وأغلاها وأندرها ، وبلغ تعدادها ــ فيما حدّث هو نفسه ــ « مائتين وستة آلاف مجلد » ، ويقال : انها كانت حمل سبعمائة بعير، وفي بعض الروايات : ان كتب اللغة وحدها كانت حمل ستين جملاً •

وأصبح الرجل بفضل تلك التلمذة الواعية وهذه المكتبة القيمة «أوحد زمانه علماً وفضلاً» ، ولم يعد من المبالغة أن يقال فيه ماقال ياقوت : من أنه « مع شهرته بالعلوم ، وأخذه من كل فن منها بالنصيب الوافر ، والحظ الزائد الظاهر ، وما أوتيه من الفصاحة ، ووُفّق لحسن السياسة والرجاحة ، مستغن عن الوصف ، مكتفٍ عن الإخبار عنه والرَّصف» .

وكان من أبرز شيوخه في الأدب واللغة وعلوم العربية : أبو بكر أحمد ابن كامل القاضي المتوفى سنة ٣٥٠هـ ، وهو من كبار الرواة عن المبرد وثعلب والبحتري وأبي العيناء ، وأبو بكر ابن مقسم العطار النحوي المتوفى سنة ٣٥٤هـ ، وأبو الفضل الوزير ابن العميد المتوفى سنة ٣٦٠هـ ، وأبو سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي المتوفى سنة ٣٦٨ هـ ، وأبو الحسين أحمد بن فارس الرازي المتوفى سنة ٣٩٥هـ .

ولعل من أهم مايجب تسجيله في تاريخ هذا الرجل وذكره بكثير من التقدير والاكبار : أن مشاغل الحكم والوزارة وشواغل الابهة وعظم المقام ؛ لم تقعد به عن التوجه نحو التاليف والتصنيف ، واستفراغ الوسع في البحث والتحقيق ، وفي اكثر من موضوع وميدان من ميادين الفكر والمعرفة ، فترك من بعده مجموعة نفيسة من المؤلفات ، وقد طبع في عصرنا الأخير عدد غير قليل منها ، مما لامجال لعرضه هنا بالتفصيل . والذي يعنينا في هذه المقدمة مايخص منها شؤون اللغة وموضوعاتها المختلفة ، وهي — فيما روى الرواة — أربعة :

١ — المحيط في اللغة : وهو من معجمات الألفاظ الكبرى في تاريخ العربية ، كثير المفردات ، وافر المعلومات ، قليل الشواهد ، نحا فيه منحى الخليل ابن أحمد في ترتيب الحروف وتنظيم الأبواب وأصوات الحروف وتقليبات الكلمات . وقد انتهيت — بتوفيق الله تعالى — من تحقيقه بتمامه ، وتم طبعه ببيروت في سنة ١٤١٤هـ — ١٩٩٤م ، في عشرة أجزاء للأصل وجزء خاص بالفهارس هو الحادي عشر .

٢ ـ كتاب الفرق بين الضاد والظاء : وقد سبق لي تحقيقه ونشره عن مخطوطته التركية التي ربما كانت الفريدة الوحيدة ، وطبع ببغداد سنة ١٣٧٧هـ ، ولعل ذلك هو الكتاب المختصر من الأصل الكبير المفقود .

٣ ـ كتاب الحَجَر : ذكره ابن فارس في الصاحبي : ١٥ ـ ١٦ والثعالبي في فقه اللغة : ٢٣٩ ، وهو مفقود .

٤ ـ جوهرة الجمهرة : وهو الكتاب الذي نتحدث عنه في هذه الصفحات.(١)

* * *

ونعود الآن ـ بعد هذه الجولة السريعة في رحاب سيرتَي ابن دريد وابن عباد ـ الى موضوع البحث الرئيس « جوهرة الجمهرة » ، وقد ورد ذكرها بهذا الاسم في عدد من المصادر والمراجع(٨) ؛ وإن لم نجد في أيٍّ منها نقلاً من الكتاب أو نصاً من نصوصه ، وليس في ذلك مايبعث على شك أو يدعو الى تردد في صحة النسبة ، لأن وجود أصل « الجمهرة » في متناول يد الباحثين والمراجعين قد أغناهم عن الرجوع الى المختصرات والملخصات .

ويستفاد من المصادر ان الصاحب بن عباد قد قرأ هذا الكتاب في مطلع شبابه قراءة مستوعبة معمَّقة ؛ وتمكن من اتقان ألفاظه وضبط نصّه خلال هذه

---

(٧) اقتبسنا ترجمة ابن عباد من المصادر الاتية :
اخبار اصبهان : ١/٢١٤ و ٢/١٣٨ وتجارب الامم : ٦/١٦٨ وذيله : ٩٣ ويتيمة الدهر : ٣/١٦٩ ـ ١٧٠ و ١٧٩ ـ ١٨٠و٢٦٧ ومحاسن اصفهان : ١٣و٩٨ ونزهة الألباء : ٤٠١ ومعالم العلماء : ١٣٦ ومعجم الادباء : ٤/٨٣و٢١٤ ـ ٢١٥و٦/١٦٨ـ٢٧٩و١٣/٩٧و١٤/٢٢٧ وانباه الرواة : ١/٢٠٢ ووفيات الأعيان : ١/٢٠٦ ـ ٢٠٩ وبغية الوعاة : ١٩٦ وشذرات الذهب : ٣/١١٣ ـ ١١٥ .
ولي في تاريخ حياة هذا الرجل وسيرته كتاب اسمه (الصاحب بن عباد)، وقد طبع ببغداد سنة ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧ م .

(٨) نزهة الألباء : ٣٩٩ ومعجم الادباء : ٦/٢٦٠ وانباه الرواة : ١/٢٠٣ والوافي بالوفيات : ٩/١٣٨ وبغية الوعاة : ١٩٧ والمزهر : ١/٩٦ وكشف الظنون : ١/٦٠٦ و ٦١٩ و ٦٢١ وتاج العروس : ١/٣٩ والذريعة: ٥/٢٩٢ .

القراءة وفي تلك السن المبكرة ، فقدروى في يوميات رحلته الى بغداد في سنة ٣٤٧هـ ــ وكان حينذاك في الحادية والعشرين من العمر ــ اعتراضه على أبي سعيد السيرافي تلميذ أبي دريد في فقرة من فقر الجمهرة ، قال :

«واتيت الى أبي سعيد السيرافي، وهو شيخ البلد ، وفرد الأدب، وحسن التصرف ، ووافر الحظ من علوم الأوائل ، فسلمت عليه وقعدت اليه ، وبعضهم يقرأ الجمهرة ، فقرأ : ألمقت ، فقلت : لمقت ، فدافعني الشيخ ساعة ثم رجع الى الأصل فوجد حكايتي صحيحة » .

ثم قال بعد استطراد وتعليق :

«ورأيت الشيخ ــ بعد ذلك ــ غزيراً فاضلاً ، متوسعاً عالماً ، فعلقت عليه وأخذت منه ، وحصلت تفسيره لكتاب سيبويه ، وقرأت صدراً منه »[٩] .

ويبدو أن فرط اعجاب ابن عباد بالجمهرة وشدة اهتمامه بها ، قد حملاه على محاولة تيسير الافادة منها لعموم الطلاب والمتعلمين ، باختصارها واستخراج زبدة مافيها من اصول اللغة ومطالبها الرئيسة ، مجردة من الشواهد والتفاصيل ، وايداع ذلك في معجم صغير يكون سهل التداول والتناول .

ومن طريف مايروى بخصوص هذا المختصر : ان الصاحب لما انتهى منه وأنجز عمله فيه ، أنشأ ثلاثة مشاطير بهذه المناسبة ، وهي :

لمّا فرغنا من نظام « الجوهره » اعورّت العين ومات الجمهره

ووقف التصنيف عند القنطره[١٠]

* * *

(٩) الروزنامجة : ٢١ ــ ٢٣ .

(١٠) المزهر : ٩٦/١ ، ووهم حاجي خليفة في كشف الظنون : ٢٠٥٣/٢ ــ ٢٠٥٤ فعزا المشاطير لأبي عمر الزاهد .

ومما يجدر ذكره بل يجب التنبيه عليه قبل ختم الحديث عن الجوهرة : ان مخطوطتنا التي رجعت اليها في هذا البحث ـ وهي الفريدة في مكتبات العالم في الوقت الحاضر في أغلب الظن[11] ـ قد تضمنت اختصاراً شاملا للجمهرة استوعب جميع الأبواب والفصول ، من أولها الى آخر الثلاثي بكل أقسامه وضروبه ، فضم السالم منه والمعتل واللفيف والمهموز والنوادر ، ثم انتهى الكتاب بذلك فلم يرد فيه أي ذكر لما يتعلق بـ «أبواب الرباعي الصحيح» وما تلاها من الأبواب الواردة في الأصل ، أي ان الجوهرة الماثلة أمامنا قد ختمت بما يقابل نهاية الصفحة ٢٩٤ من الجزء الثالث من الجمهرة المطبوعة ، وأغفل جميع مايلي ذلك من أبواب الرباعي وأبواب كثيرة اخرى من الخماسي والسداسي والنوادر وغيرها .

واذا افترضنا أن في بعض الأبواب « المُغْفَلة » من المصادر والمفردات المزيدة ما يمكن ذكره في بابه الأصيل من الثلاثي ـ كما في أبواب فَعْلَلٍ وفُعْلُلٍ مما فيه حرفان مثلان ؛ وأبواب فِعَلٍّ وفُعُلٍّ وفِعِلٍّ وفُعَّلٍ وفَيْعَلٍ وفِعْيَلٍ وتَفْعال وفَيْعُول وفِعِّيْلى وكثير غيرها ـ فان في الرباعي والخماسي الأصيلَيْن مالا يمكن اقحامه في الثلاثي بأي وجه من الوجوه .

ومن البعيد جداً بل من غير المقبول أن نعزو اسقاط تلك الأبواب الى المؤلف ، لأنه ينا في ماقاله وألزم به نفسه في مقدمة كتابه من ايراد كل ماجاء

---

(١١) ذكر الباحث الشيخ محمد محسن انه راى في اوائل هذا القرن نسخة من الجوهرة في احدى المكتبات العراقية (الذريعة : ٥/٢٩٢ ـ ٢٩٣)، ولكني لم اوفق للوصول اليها على الرغم من كثرة السؤال والبحث .
وذكر الباحث السيد زين العابدين الموسوي محقق الجمهرة ان في مكتبة المتحف البريطاني مختصرا للجمهرة قديم الخط مجهول المؤلف ، وان المستشرق كرنكو قد قابل به اصل الجمهرة (مقدمة الجمهرة : ١/١٧ ـ ٢٠) . وليس هذا المختصر هو الجوهرة ؛ لأن اسمها قد ورد في مقدمة المؤلف ؛ وكان قد وقف عليه المستشرق المذكور في مراجعته ومقابلته ، ولعله مختصر ابن عنين أو مختصر آخر لم نقف على خبره .

في الجمهرة من اصول اللغة وموادها وتراكيبها ، واعلانه : أنه لم يسقط من اللغة الموجودة فيها «حرفاً واحداً ، بل حذفنا ماكان تصريفاً مستغنى عنه أو شاهداً» ، ولذلك يكون خلو مخطوطتنا من الأبواب المذكورة باعثاً على الشك والتوقف بل الحكم بالنقص في أرجح الاعتقاد ، وربما سقط ذلك من الناسخ سهواً وغفلة أو بتوهم أن تلك الأبواب مرتبطة بكتاب آخر ، كما يحتمل أن يكون الأصل الذي نقل منه الناسخ ناقصاً ، وربما كان غير ذلك مما لايمكننا الجزم به الا اذا وُفّقنا الى العثور على نسخة اخرى من الكتاب للمقابلة والمقارنة .

وبانتظار ذلك تكون هذه النسخة ممثلة لقطعة من «الجوهرة» يمكن أن نسميها «الجزء الأول» منها .

* * *

ولعل مما يزيد الحديث عن هذا الكتاب بياناً وجلاء أن يقف المعنيون على نصِّ مقدمة الصاحب لجوهرته ؛ فقد ضمنها من اللمحات الموجزة لمنهجه في اختصاره ؛ وللنسخ التي رجع اليها ؛ ولأدب السلوك مع العلماء من السلف ؛ مالا يخلو من نفع وفائدة لكل باحث ومتعلّم .

قال :

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

الحمد لله الذي أنْطَقَنا(*) الذي أنْطَقَ كلَّ شيء بأفصح اللغات، وجعل اختلافَ الألسنة احدى الآيات ، وبعث رسولَه محمداً ـ عم[1] ـ بأشرفِ الكلام موضوعاً ؛ وأحلاه مسموعاً ؛ وأوْسَعِه مذاهبَ ؛ وأقرَبِه مطالب ، وأنزل به كلامَه المبين ، وكمّل به المعجزات والبراهين .

(*) كذا في الأصل ، ولعل جملة (الذي انطقنا) او (الذي انطق كل شيء) من زيادات النسخ .

(١) كذا في الأصل ، ويأتي فيه مثل ذلك ايضا ،وكانه يعني به (عليه السلام) .

ولمّا رأيت[٢] الناسَ قد سبَقوا الى تكثير[٣] اللغة ، حتى زهّدوا الراغبَ ، وأتعبوا الطالب ، وكان المعوّل[٤] عليها في معرفة القرآن وسُنّة الرسول ـ عم ـ ، وكان الاختصار مع الايضاح[٥] والإفهام ؛ أوْلى من الاكثار مع الإصعاب[٦] والابرام . فصنّفْنا الكتابَ « المحيط » لئلاّ يشذّ عنه من اللغة إنسيّها ووحشيّها ودانيها وقاصيها ، الاّ ماعزّ وجوده وأعْوزَ ، وضَعُفَ روايةً فألغاه من احترز . وخرج في حجم ثُلُث كتاب « العَيْن » ، وفضلتْ لغتُه على ما في ذلك الكتاب ضِعفَيْن بعد ضِعفين . علمنا أن في طالبي[٧] اللغة مَن يصدف عِطْفَه[٨] عن قراءته واستقرائه ، ويميل الى ما يجري[٩] في الايجاز مجرى جزء من أجزائه ، فاعتمدنا كتاب « الجمهرة » باختصارٍ لا يُمِلّ[١٠] ولا يُخلّ ، إذْ لم نُسقط[١١] من اللغة الموجودة فيه حرفاً واحداً ، بل حذفنا ما كانَ تصريفاً مستغنىً عنه أو شاهداً .

وقد كُنّا رَوَيْناه على اختِلاف نُسَخِه :

أمّا النسخة البغداديّة : فأخبر[ني][١٢] بها أبو سعيد الحسنُ بن عبدالله

---

(٢) في الأصل : ولمارث ، وهو تحريف .
(٣) في الأصل : لى بكثر ، وهو تحريف .
(٤) في الأصل : المعمول ، وهو تحريف .
(٥) في الأصل : مع الاضاح ، وهو وهم .
(٦) في الأصل : الاصحاب . وكتب الناسخ في الحاشية : (الاصعاب . ظ) .
(٧) في الأصل : طالب ، وهو وهم .
(٨) في الأصل : من تصنيف عطفة ، وهو تحريف .
(٩) في الأصل : يجزى ، وهو تصحيف .
(١٠) في الأصل : لايميل ، ولعل الصواب ما اثبتنا ، ولا يمل : اي لايشق ولايصعب .
(١١) في الأصل : تسقط ، وهو تصحيف
(١٢) مابين المعقوفين سقط من الاصل .

السيرافي[13] النحوي ــ رحمة الله عليه ــ عن أبي بكر [ابن][14] دريد .

وأما الشيرازية ــ وهي الأصل[15] ــ فقرأتها على أبي[16] محمد الإيجي[17] صاحب أبي بكر وراويته[18] ، وذكر أنه أملاها عليه من لفظه .

[وأما][19] الأهوازية : فقرأتها ــ وقرئت[20] ونحن نسمع ــ على أبي أحمد الحسن[21] بن عبدالله العسكري[22] ، وهو من المكثرين عن أبي بكر .

وسمّيْنا هذا المختصر بـ «جوهرة الجمهرة» .

---

(13) في الأصل : السيرفي ، وهو من أوهام النسخ . وهو أبو سعيد الحسن ابن عبدالله بن المرزبان النحوي المعروف بالقاضي السيرافي ، المولود قبل سنة ٢٩٠هـ ، وقد سكن بغداد ولمع فيها ، وأسهم في علوم كثيرة درساً وتدريساً ، وكانت لديه نسخة من (الجمهرة) كتبها السيرافي بخطه ، وتوفي سنة ٣٦٨هـ . يراجع : تاريخ بغداد : ٣٤١/٧ ومعجم الادباء : ١٤٥/٨ وانباه الرواة : ٣١٣/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

(14) سقطت كلمة «ابن» من الأصل .

(15) انما عد المؤلف هذه النسخة أصلا لأن ابن دريد أملى الكتاب لاول مرة هناك . يراجع ماأوردناه من ذلك في ترجمته .

(16) في الأصل : ابو ، وهو وهم .

(17) في الأصل : الا لحبى ، والصواب ماأثبتنا ، وهو ابو محمد عبدالله بن محمد الايجي الأديب النحوي ؛ تلميذ ابن دريد والمكثر في الرواية عنه . يراجع معجم البلدان : ٣٨٤/١ ــ ٣٨٥ واللباب لابن الأثير : ٧٨/١ وبغية الوعاة : ٢٩٠ .

(18) في الأصل : وروايته ، وهو وهم .

(19) سقط مابين المعقوفين من الأصل .

(20) في الأصل : وقرات ، والسياق يقتضي ماأثبتنا .

(21) في الأصل : الحسين ، وهو وهم .

(22) هو ابواحمدالحسن بن عبدالله بن سعيدالعسكري اللغوي المحقق، المولود سنة ٢٩٣هـ ، والمتوفى سنة ٣٨٢هـ . يراجع : معجم الادباء : ٢٣٣/٨ وانباه الرواة : ٣١٠/١ وبغية الوعاة : ٢٢١ .

ولم نشتغل(٢٣) باصلاح مايُطعَن به [على](٢٤) أبـي بكر مـن خلل في الأبنية واضطرابٍ في الترتيب ، إذْ بنـا في الأخْذ عن العلماء من السلف مالا نفرغ(٢٥) [معه](٢٦) الى اعتراض كتبهم بالردّ .

نفعنا اللهُ بما علمنا ، وجعله لفظا(٢٧) فيما ألزمنا .

وصلاته على النبي محمد وآله الطاهرين ، وسلّم تسليماً كثيرا .

★ ★ ★

(٢٣) في الأصل : يشتغل ، وهو من سهو النسخ .
(٢٤) زيادة يقتضيها السياق .
(٢٥) في الأصل : مالا يفرغ ، ولعل الصواب ماأثبتنا .
(٢٦) زيادة يقتضيها السياق .
(٢٧) كذا في الأصل ، ولم نهتد الى الصواب فيها ؛ ولعله : ألفا لنا .

مصادر البحث

اخبار اصبهان / لأبي نعيم	ليدن ١٩٣١م
اسماء الكتب / لعبد اللطيف رياضي زاده	القاهرة ١٩٧٧ م
الاشتقاق / لابن دريد	القاهرة ١٣٧٨هـ
انباه الرواة / للقفطي	القاهرة ١٣٧٤هـ
الأنساب / للسمعاني	الهند ١٣٨٢هـ
بغية الوعاة / للسيوطي	القاهرة ١٣٢٦هـ
تاج العروس / احمد مرتضى الزبيدي	القاهرة ١٣٠٦هـ
تاريخ الأدب العربي / لبروكلمان ـ الترجمة العربية ـ ج٢	القاهرة ١٩٦١م
تاريخ بغداد / للخطيب البغدادي	بيروت (طبعة مصورة)
تجارب الامم / لمسكويه	القاهرة ١٣٣٢هـ
الجمهرة / لابن دريد	الهند ١٣٤٤هـ
خزانة الأدب / للبغدادي	القاهرة ١٢٩٩هـ
الذريعة / لاحمد محسن الطهراني ـ ج٤ و ٥ واجزاء اخرى ـ	طهران ١٣٦٢هـ
ذيل تجارب الامم / للروذراوري	القاهرة ١٣٣٤هـ
ذيل كشف الظنون ـ ايضاح المكنون ـ /	استانبول ١٣٦٦هـ
الروزنامجه / للصاحب بن عباد	بغداد ١٣٧٧هـ
سير اعلام النبلاء / للذهبي	بيروت ١٤٠٦هـ
شذرات الذهب / لابن العماد الحنبلي	القاهرة ١٣٥٠هـ
الصاحبي / لابن فارس	القاهرة ١٣٢٨هـ
طبقات النحويين واللغويين / للزبيدي	القاهرة ١٣٧٣هـ
فقه اللغة / للثعالبي	القاهرة ١٣٥٧هـ
الفهرست / لابن النديم	طهران ١٣٩١هـ
كشف الظنون / لحاجي خليفة	استانبول ١٣٦٠هـ

اللباب / لعز الدين ابن الأثير	القاهـــــرة ١٣٥٧هـ
محاسن اصفهان / للمافروخي	طهــــــران ١٣٥٢هـ
مراتب النحويين / لأبي الطيب اللغوي	القاهــــرة ١٣٩٤هـ
مروج الذهب / للمسعودي	القاهــــرة ١٣٥٧هـ
المزهر / للسيوطي ـ طبعة البابي الحلبي	القاهــــرة (بلا تاريخ)
معالم العلماء / لابن شهر اشوب	طهــــــران ١٣٥٣هـ
معجم الادباء / لياقوت	القاهــــرة ١٩٣٦م
معجم البلدان / لياقوت	القاهــــرة ١٣٢٣هـ
معجم الشعراء / للمرزباني	القاهــــرة ١٣٥٤هـ
معجم المطبوعات العربية والمعربة / ليوسف سركيس	القاهــــرة ١٣٤٦هـ
المنتظم / لابن الجوزي	الهنــــــد ١٣٥٧هـ
نزهة الألباء / لابن الأنباري	بغــــداد ١٩٥٩م
نور القبس / اليغموري	بـــيروت ١٩٦٤م
الوافي بالوفيات / للصفدي	طهران (طبعة مصورة)
وفيات الأعيان / لابن خلكان	القاهــــرة ١٣٦٧هـ
يتيمة الدهر / للثعالبي	القاهــــرة ١٣٥٢هـ

*

الفهرس

الموضوع — الصفحة

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ببغداد ١٦٧٦ لسنة ١٩٩٦


م. سرمد حاتم شكر

مجلة المجمع العلمي



الجزء الاول ـ المجلد الثالث والاربعون

بغـــداد

١٤١٦هـ = ١٩٩٦م